

الفصل التاسع عشر - ٢ نص لساويروس ابن المقفع

(من مقال للمطران بطرس كامل مدور في مجلة المسرة المجلد ٥٦ (بيروت ١٩٧٠) ص ٢٤٩-٢٥٦ و ٣٣١-٣٣٦ و ٤١٢-٤١٨).

الباب الحادي والعشرون

في الفرق بين القبط والملكية

أما الفرق بين القبط والملكية فأنهم مختلفين في اصل واحد وهو الاتحاد^١ وبعد الاصل مختلفين في ثلاثة عشر فرعاً. ومتفقين في الثلاثة اقانيم ووحداية الجوهر

وأما الخلف بينهم في الاتحاد خاصة وهو الاصل الذي اختلفوا فيه. وذلك ان القبط الذين هم اليعاقبة^٢ الذين على مذهب يعقوب الذي اخذه عن الاب بطيريك انبا تاودوسيوس يعتقدون في المسيح انه طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة من مشيتين اقنوماً واحداً من اقنومين. لأن اقنوم الابن الوحيد الكلمة، له المجد، لما شاء اتحاده بطبيعة البشر أخذ من الظهور المريمي ناسوتاً كاملاً ذا نفس عاقلة وجعله واحداً مع لاهوته من غير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ولا تغيير. فصار الناسوت المأخوذ من الظهور المريمي مع كثافته، بهذا الاتحاد الذي يفوق العقول البشرية مع الابن الازلي قبل كل الدهور، واحداً في فعله الالهي من اشفاء المرضى واقامة الموتى وتطهير البرص وفتح عيون العمي للنظر

وإذا أردنا نعرف صحة ذلك وتحققه وجدنا الانجيل المقدس شاهداً بذلك في بشارة يوحنا. وهو ان السيد له المجد لما وجد الاعمي المولود من بطن امه بغير عيين قال تلاميذه: يارب من أخطأ هذا ام ابواه حتى انه ولد اعمي؟ فقال لهم لا هو اخطى ولا ابواه لكن لتظهر اعمال الله فيه. ثم نفل على الأرض وصنع من تفلته طينا بأصبعه الالهي وحللا بالطين بأصبعه عيني ذلك الأعمي وقال له. اذهب إلى عين سيلوحا فذهب وغسلها فعاد ينظر. فسيدينا له المجد لم يفعل ذلك منه عبثاً ولكنه أورى العالم بالعين الباصرة: انظروا واعلموا وتحققوا اني انا الذي خلقت ادم الاول من تراب الأرض وطينها كذلك خلقت لهذا الاعمي من طين الأرض عيين جدد من حيث لا كانا. فان كان خلق له عيين جدد بلاهوته من دون ناسوته فايض كان الحاجة إلى ريق الجسد وجيله بالطين بالأصبع الناسوتي؟ وهذا اعظم دليلاً على قوة الاتحاد وإن اللاهوت الذي هو الابن الازلي الكلمة والناسوت المأخوذ من الظهور المريمي صاروا واحداً في القوة والفعل. هذا دليلاً اول

وأما الدليل الثاني فهو قول سيدينا على لسان البشير ايضاً: ما يصعد إلى السماء الا الذي نزل من السماء. والجسد المأخوذ من ظهور مريم لم ينزل من السماء لكنه تولد من الاحشاء البتولية. وقد شوهد صاعداً إلى السماء بقوة اتحاد الابن الكلمة به. وهذا ايضاً اعظم دليلاً على قوة الاتحاد به من الله. وهذا الدليل الثاني

(١) المقصود بلفظة «الاتحاد» اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص سيدينا يسوع المسيح الذي هو شخص واحد لا شخصان. ويقال لهذا الاتحاد union hypostatique.

(٢) بخصوص هذه التسمية، انظر الملاحظة التي سبق ايرادها في مقدمة هذه الدراسة

فأما الدليل الثالث فهو قول سيدنا له المجد على لسان البشير، هذا لما قال المجمع : كيف يقدر هذا ان يعطينا جسده لتأكله ؟ قال لهم، هذا يشككم ؟ كيف اذا رأيتم ابن البشر يصعد إلى حيث كان أولاً ؟ ومعلوما ان ابن البشر المشار إليه في المحسوس انما كان اولاً في بطن العذراء ولم يرجع إلى بطن العذراء لكنه صعد إلى السماء امام اعين الناظرين إليه حتى ظهرت الملائكة وهم قائلين : ما بالكم ايها الرجال الجليليون تنفرون ؟ هذا يسوع الذي صعد عنكم إلى السماء هكذا يأتي كما رأيتموه صاعداً إلى السماء . وهذا الدليل الثالث في وجود الطبيعة الواحدة والمشية الواحدة والفعل الواحد

وقد قال الكتاب، من فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة، وهذه الثلاثة شهادات انجيلية لو كانت صادرة عن نبي أو عن ملاك صدقوها، سيما رب الانبياء والملائكة

وهذه الشهادة الرابعة قوله، الحق اقول لكم اني قبل ان يكون ابراهيم^١، وما قال لهم هذا الكلام الا في ناسوته والقسم الناسوتي . عند قوله ذلك كان له ثلثون سنة، و ابراهيم قبل اسرائيل الذي تجسد المسيح من سبطه بآلاف السنين . وذلك اعظم دليلاً على صيرورة الطبيعتين واحدة بهذا القول . فمن هذا بطل اعتقاد من يقول ان المسيح بعد الاتحاد طبيعتين أو مشيتين أو فعلين . بل فعل واحد وطبيعة واحدة ومشية واحدة واقنوما واحداً

واما الملكية فانهم في معتقدهم يقولون من افواههم ان المسيح طبيعتين ومشيتين وفعلين وجوهين^٢، واحد فاعل الايات والعجائب والآخر قابل الالام والاكل والشرب والنوم واليقظة . وهذا المعتقد اعظم دليلاً على الفرق بين اللاهوت والناسوت ولا تبقى فائدة في ذكر الاتحاد لأن الاثنتين ضد الاحدية والازدواج ضد الاتحاد، لأن الواحد واحد والاثنتين اثنتين ولا فائدة في الاتحاد

وإذا كان الامر على ما يزعمون وفصل آخر هذا المعتقد الذي يعتقده مما يوجب الشرك لله تعالى وهو ان الشريكين اثنتين هم لا اتحاد بينهم والشريكين يكونون مختلفين الشهوة، يشتهي الواحد شيء يشتهي الآخر بضده، ومختلفين الاراء . وهذه الطبيعتين الالهية بالانسانية متفتي الشهوة والارادة في خلاص آدم وعنته من الشيطان، متفتي الفعل في الارادة للالام بوجود الوحدانية بينهما في المشية والفعل والقوة من حيث لا يبطل هذا الاتحاد ابداً . فوجب ان يكون للطبيعتين والمشيتين والقنومين^١ طبيعة واحدة ومشية واحدة وفعل واحد^٢

ولهذا المعنى تقول اليعاقبة بمسيح واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين ومشية واحدة من مشيتين واقنوما واحداً من اقنومين . وثبت الحق وزالت الضلالة وهذا ما اختلفوا فيه في الاصل

[انتهى الكلام عن الخلاف الذي في الاصل . وسيأتي الكلام عن الخلاف في الثلاثة عشر فرعاً]

اول ذلك ان القبط تابعين آثار ابراهيم في الختان الذي أمره الله تعالى به لأن الله أمر ابراهيم بالختان وقال له : كل نفس لا تفعل هذا تفرز تلك النفس من شعبها . و ابراهيم مع شيخوخته اطاع الله واختن ، والقبط تابعين ناموس الله في ذلك . هذا في العتيقة ، والسيد المسيح له المجد صاحب الشريعة الجديدة دخل بيت الختان واختن ، والا فما كان اليهود يجحدوا عليه في صلبه علة أكثر من هذه انه غير محتون . ولولا أكل سنة التوراة في الختان ما كتبوا اليهود اسمه في منظره الكهنة ليخدم في الهيكل ^١ كما شهد انجيل لوقا أنهم دفعوا له السفر ليقرىء ، وكان الفصل الذي قرأه : روح الرب علي ، لهذا أرسلني ابشر العميان بالنظر والمأسورين بالتخلية وأبشر بالسنة المقبولة للرب . وطوى السفر ودفعه للخادم وجلس . ولو كان غير محتون غير مكتملا للناموس لما وصل عندهم هذه المرتبة . ان احتج احد بقول بولس الرسول : ليس الختان بشيء وان دعى احدكم إلى الايمان وهو غير محتون فلا يعود إلى الختان ، ويقفوا عند هذه الحجّة ، كان الجواب لهم : ان رب بولس أعظم من بولس فينبغي المشابهة له . وان بولس ما قصد بهذا القول الا لثلا يتعطل الدخول في الايمان بسبب الختان قال لهم هذا القول . وانما تفعل بطاعة الله تعالى في العتيقة تبعاً لابنا ابراهيم وفي الحديثة بطاعة الله ، الابن الوحيد الكلمة يسوع المسيح له المجد في ما فعله بنفسه من الختان ^١

- ٢ -

واما خلفهم في الفرع الثاني الذي هو عدم صوم ثلاثة ايام نينوى ^٢ فالقبط شابهوا أفعال التوبة عن الخطايا كأهل نينوى حتى غفر الله لهم ووفاهم من أن تحسف بهم مدينتهم . وهذا ما هو فعل قبيح بل يشكرون عليه ، بخلاف من لم يفعله .

- ٣ -

واما خلفهم في الفرع الثالث في فطرم الاسبوع الاول من الصوم المقدس ، فان حجّة القبط في ذلك اقوى منهم . وهي ان الدسقية التي هي تعاليم آباؤنا الرسل قالوا فيها ، وليكن عندهم الصوم جليلاً وهو ثمان جمع اوله اواخر الشتاء وآخره اويل الصيف ، وما قالوا : سبع جمع ، كما يعتقدوا الملكيّة ^٣

- ٤ -

واما خلفهم في الفرع الرابع هو أن الدسقية حرصت على صوم يومي الاربعاء والجمعة على الدوام إلى التاسعة ، حتى أنهم احرموا كل نصراني فطر هاذين اليومين من غير مرض جسماني ، ان كان كاهن سقط من كهنوته وان كان علماني ينفي من البيعة ، والملكيّة ما يفنعهم فطر الاربعاء والجمعة من يوم الميلاد إلى الغطاس وايام نينوى ، إلى أول الصوم بل يأكلون اللحم ^٤

- ٥ -

واما خلفهم في الفرع الخامس هو عدم سكبهم المبرون في المعمودية حال تعميدهم ، وذلك في غاية الرذائل في حق التعميد ، وهو متى لم يسكب المبرون المقدس في الماء ويضرب إلى حين يختلط المبرون المقدس بالماء ويغسل فيه المتعمد ، كيف يشمل المتعمد الخنوط الذي شمل جسد سيدنا حال دفنه ؟ وهذه المعمودية انما هي مشابهة موت المسيح ودفنه ، فيتبقى جسد المتعمد عندهم غير محفوظ الخنوط الذي لسيدنا المسيح ، الذي هو هذا المبرون خميرته ، وهذا نقصان في

واما خلفهم في الفرع السادس ففي طلوعهم الهيكل والوطىء في أرجلهم . فهذا من أردى العوايد الذميمة . لأن الله سبحانه قال لموسى : « اخلع خفيك عن قدميك لانك قايم في أرض مقدسة » . وما كانت تلك الارض فيها جسد سيدنا ودمه الكريمين موضوعان ، ولا الشاروبيم والساووفيم حاضرين مرتعدين من سر اتحاد اللاهوت العظيم بالحيز والخمر الذي يقدسهما الكاهن ، والروح القدس حاضر لينقل القربان إلى مجد اللاهوت . والسيد المسيح نفسه ، القدوة الاصلية الذي عنه هذا المثال ، ليلة اعطى فيها جسده لتلاميذه بعد اكمله الفصح التاموسي ، الذي فعل هذا الصنيع وهو ابتدى الشريعة الجديدة ، هل كان في رجله وطء ؟ ويا ليت الوطء الذي في رجل كهنتكم سالم من القنورات والتجاسيس الطرفانية^١

واما خلفهم في الفرع السابع ففي الصليب المجيد باصبعين - فهو غير محمود - فان كانوا يزعمون ان الاصبعين عبارة يشيرون بها إلى اللاهوت والتاسوت ، فهذا أعظم دليلا على بطلان الاتحاد وكل طبيعة باقية على الاثنية على ما كانت عليه قبل الاتحاد ولا فائدة في صبرورة اثنين إلى واحد وهذا اعظم جهلا واشد كفرا بما يفعله الاله الكلمة من وجود الاتحاد . واما رأي القبط في الصليب بأصبع واحد فان رأيهم في ذلك اقوى في وجود الاتحاد وقوة فعله ، وانهم في الاصبع الواحد اعظم دليل . وهو قبل كل شيء شاهدهم في التوراة في العشرة كلمات التي انزلت على موسى النبي انها مكتوبة « باصبع الله » ، ولم يقول الكاتب « باصبعي الله » . والشاهد الثاني في الشريعة الجديدة التي في الانجيل المجيد قول الله الكلمة « ان كنت انا اخرج الشياطين باصبع الله » ... وهذه شهادة ثانية : فالاولى ما ينكرها يهوديا والثانية ما ينكرها نصرانيا^١

واما خلفهم في الفرع الثامن في عجيب القربان عندهم من النساء والبنات وخبيزه في غير قرن البيعة ، فهو غير جازب بالشرع اولا انه غير مؤمن بلمسه بيده وهو غير متعمد ، والثاني ان الكهنة عند القبط يقرأوا على العجيبين المزامير الداودية . ولعل ذلك يقبل رسمياً ما عدا هذا الفعل^٢

واما خلفهم في الفرع التاسع الذي هو تقوير القربان حال القداس عليه فان السيد المسيح وقت اعطاء جسده الطاهر لتلاميذه ليلة صلبه وآلامه لم يقور الرغيف لكن الانجيل المقدس يقول انه أخذ خبزا وبارك وكسر الرغيف وناول تلاميذه ولم يقول انه أخذ جزءاً من رغيف وبارك عليه وناوله وكان مقوراً بالسكين كما يفعلون هم . ونحن فما لنا غير المماثلة به ، في كل ما صنع نصنع نحن مثله ، فان كان الملكية انما صاموا لصومه وصلوا لصلاته ومائلوه في موته بالمعمودية فوجب عليهم مماثلته في عدم تقوير القربان^١

وأما خلفهم في الفرع العاشر في وقوف الشمس ووجهه إلى الشرق، فهو غير الواجب . لأن الشمس ما سبب خدمته في البيعة حال القدّاس الآ منذرا للشعب بما يعتمدوه من مجاوبة الكاهن في كلّ ما يطلب من الربّ بما يليق . تارة يقول للشعب صلّوا من أجل كذا وكذا، فيقول الشعب : يا ربّ ارحم ، وتارة يأمرهم بالوقوف من الجلوس ، وتارة بالنظر إلى الشرق وتارة بالانصات ، ولا يليق من جهة الفعل والادب ان الشمس يخاطب الشعب بظهره ، فيكون ذلك اولا عظمة وثانيا عدم أدب وقلّة حشمة، وهذه الرتبة في وقوف الشمس ووجهه إلى الغرب هي رتبة القديس مرقس الانجيلي، والاقباط ماسكينها إلى اليوم، فان أنكروا الملكية ذلك فالقداسات عندهم كثير : قداس الكبير باسيليوس ، وقدّاس يوحنا، وقدّاس يعقوب، وقدّاس مرقس . ففي جميع ما ذكر من القداسات يقف الشمس فيها عن يمين القسيس فيه مثلنا ووجهه إلى الغرب ينذر الشعب تبعا لتعاليم مرقس الانجيلي في دعوته للايمان بالسيّد المسيح . وهذه الشهادة عليهم لا لهم^١

وأما خلفهم في الفرع الحادي عشر فهو استيقاظ الجسد المقدّس بعد التقديس عليه من يوم تقديسه إلى جملة أيام مشال لمن يتقرّب به عند الموت . وهذه العادة ردية جدا، خشية عليه من أحد العوارض الجسمانية تعرض عليه، اما ديب واما غيره فيفسده، وقد تمّ هذا المجرى^١ في الايام الماضية ومثني عليه ثعبان وأكله . ولما طلباه القسيس والشمس عند الاحتياج اليه فوجدوه أكله وهو في الآنية المقدّسة . فحركتهما الغيرة الالهية إلى حيث اكلا اثنيهما الثعبان وماتوا لوقتئها . وهذا هو الموجب لترك هذه العادة عند الاقباط . وايضا ان هذا الجسد المقدّس هو مثال الحروف الذي للفصح الناموسي، وقد أمر الله تعالى في ذلك الحروف ان لا يستبقى منه شيء للغد . ولم يأمره بذلك الا رمزا على حمل الله جسد يسوع المسيح . فوجب المماثلة في ذلك شرعا

حاشية عن الأب بطريرك انبا اخرستوضولس السادس والستين من البطارقة^٢ وذلك عن القربان وبقائه لمدة أيام . وقيل أن هذا الأب قبل أن يصير بطريركا عبر على بعض الكنايس في أحد الزيتونة وشاهد ما فعلوه الكهنة من رفع القربان وحفظه على المذبح وتغطيته بالكسوة وانصرف كلّ إلى منزله . وفي حين رواج الناس وخلبة البيعة منهم مضى أحد اللصوص ليسرق ثياب الكنيسة فبدّد القربان وأخذ الآنية وطفئ سراج البيعة . ولما عادوا الكهنة إلى البيعة وجدوا السرج قد طفئت فدخلوا ظلّما منهم ان القناديل انطفئت ثقلا وقودها، فداسوا القربان بأرجلهم ولم يعلموا . فهذا الذي شاهده هذا الأب فقطع هذه العادة وابطلها من كلّ موضع بمعونة المسيح^١

وأما الخلف في الفرع الثاني عشر فهو عدم غطاسهم يوم عماد سيّدنا المسيح من يوحنا الذي هو يوم الحادي عشر من طوبه . وذلك فسادا في عدم المماثلة بالسيّد فما فعله من التواضع . وذلك انه ما كان يغتسل في نهر الاردن من يد يوحنا

المعمداني الآخاطي يتوب من خطيئته ويغطس في نهر الاردن معترفا بخطاياها، فانه يتقاً منها . والسيد المسيح لتواضعه، حسب ذاته كأحد الخطاة، ومائلهم في العماد من يد يوحنا . فمن غطس شابه السيد المسيح له المجد . ومن لم يغطس فانه لم يماثل التواضع الذي فعله رب المجد . كل انسان بعد المعمودية (الذي شابه فيها موت المسيح ودفنه وطلع منها طاهرا) من أبناء عالم النور، لا بد أن يكون قد غلبه الشيطان أو أسقطه في زلة . فان غطس وعمله مماثلة سيدنا المسيح في الغطاس، ضامن التوبة والرجوع إلى الله، كان غطاسه سبب لغفران خطاياها

وجماعة الملكية احرموا نفوسهم الجهتين، جهة مماثلة تواضع سيدنا وجهة تنقية النفس بمغفرة الغطاس . ونحن ما لنا في كل مذهبنا الآ المماثلة بفعل سيدنا : سيدنا صام فصمنا، وصلّا فصلّينا، تألم فتألمنا، غطس وجب علينا الغطاس¹

- ١٣ -

وأما خلفهم الثالث عشر في لباس الرهبة لأنه اول من ابتدع هذا اللباس ابونا القديس انطونيوس ظهر له ملاك الرب الشاروييم ذو الستة اجنحة وقال له : تشبه بجهاذك بهذا الشكل . فلبس انطونيوس ستة اجنحة نظير الشاروييم : القلسوة جناحين تغطي العينين، والميزرة جناحين تغطي الرجلين، والاسكيم جناحين للطيران كمثل شاروييم الذي ظهر للعظيم انطونيوس . فتركوا مشابهة شاروييم المجد وتشبهوا بانسان مخالف الايمان الصحيح يقال له اسباريطوس، كان دُعي إلى مجمع خلقدونية، وكان يلبس الشكل الاول . ولما دُعي إلى ذلك المجمع قام مسرعا، وكان عليه وقتئذ ثوبا اسود وهو مكشوف الرأس . فأخذ قدرا من نحاس غطا بها رأسه وهي باذنين وخرج مسرعا إلى المجمع . ولهذا المعنى تركوا شكل انطونيوس وتبعوا اسباريطوس، وهو غير الصواب¹

وأما البترك الذي لم فهو غير لابس الاسكيم . واذ قصد يلبس الاسكيم المقدس ولم يجد رئيس الكهنة يلبس الاسكيم فحضر له قسيس راهب اسكيمي حتى يلبسه الاسكيم . وهذا نقصا في الوضع والرتبة، لأن بولس الرسول يقول « ان ذي النقص يقبل البركة ممن هو أتم منه » وما قال « يقبل البركة ممن دونه في الرتبة »¹

ومثل هذا كثير وانما القصد في الاختصار لا التطويل

فهذه الثلاثة عشر فرعا، القبط والملكية مختلفين فيهم، مع خلفهم في الأصل الذي هو الاتحاد الذي صار بين الابن الوحيد الازلي والناسوت الزممي المأخوذ من مريم العذراء

وقد انتهى ساويرس بن المقفع كتابه بدعاء جميل مسجع العبارات² في التماس

نعمة الوحدة بين الطائفتين . وقد نشره حضرة الأب سمير خليل قسيم اليسوعي في « رسالة الكنيسة » وهي مجلة مطرانية الاقباط الكاثوليك بالمنيا، في العدد الأول من سنة ١٩٧٠ وعلق عليه بما يلي :

ان النص الذي نورده هنا مأخوذ من كتاب « ترتيب الكهنوت » . وهو منسوب إلى ساويرس بن المقفع ، الذي كان اسقفا على الاشمونيين في نهاية القرن العاشر . فالباب الأخير من « ترتيب الكهنوت » ، الباب الحادي والعشرون ، عنوانه : « في الفرق بين القبط والملكيّة » ، وكان الملكيون في ذلك الحين ذوي نفوذ وسلطان في مصر ، كما ان عددهم كان كبيرا

ويذكر المؤلف أن هناك فرقا واحدا أساسيا لا غير ، وهو في الاتحاد (أي في طبيعة أو طبيعتي المسيح) . ثم يذكر ثلاثة عشر فرقا ثانويا ، هي مجرد اختلاف في العوائد^١ وبعد ذكر هذه الفروق ، ينهي بابه (وكتابه) بدعاء في سبيل الوحدة ، لا نظير له في الأدب القديم . يقول :

« الرب الاله يرشدنا نحن وإياهم إلى طريق الخلاص

« ويقينا نحن وإياهم من حدّ القصاص

« ويجمع البيعة المقدّسة الواحدة الجامعة الرسولية من هذا التفريق

« ويظهر لنا ولهم السلوك في أقوم الطريق

« ويظهر الحق ويبعد الضلالة

« ويمنع الشيطان عنا وعنهم من الاستطالة

« بفضلته ، ومنته ، وكرمه

« كما شفى نفوسنا أولا بجراحات أله .

« ثم القول في الخلف في الفروع والأصول

« والرب الاله يجعل عمل الفريقين مقبول . آمين »

تعليق على النص

من ضمن تأليف ساويروس ابن المقفع كتاب "ترتيب الكهنوت" الذي توجد مخطوطة منه في مكتبة بطريكية الاقباط الارثوذكس بالقاهرة (قسم اللاهوت رقم ٢٣٦ ورقة ١٦٢).

والكتاب مؤلف من واحد وعشرين بابا هذا بياها: (١) في الكنيسة وما يتعلق بها. (٢) في المعمودية. (٣) في الهيكل المقدس. (٤) في المغطس الاردني. (٥) في مطهرة الخميس الكبير. (٦) في الانبل. (٧) في القو، والسبب الموجب لها. (٨) في القناديل وبيض النعام. (٩) في البطريك. (١٠) في الايغومانس. (١١) في القس وهو الكاهن. (١٢) في الارشيدياقن. (١٣) في الشماس. (١٤) في الايودياقن. (١٥) في الاغنسطوس. (١٦) في اداب الكهنة. (١٧) في قيم البيعة. (١٨) في تكريس البيعة. (١٩) في تكريس المعمودية. (٢٠) في تكريس الهيكل. (٢١) في الفرق بين القبط والملكية.

كل هذه الابواب حافلة بتفاصيل دقيقة، وتفاسير طريفة روحانية ورمزية، وترتيبات جميلة، يلذ الاطلاع عليها ولا سيما لأن بعضها سقط من الاستعمال ولا يعرفه ابناء عصرنا. ولكننا نحصر هنا اهتمامنا في الباب الحادي والعشرين المتعلق بالفروق بين الملكية والقبط. ولما كان موضوعه يختلف عن ترتيب الكهنوت الذي عني به المؤلف، فرمما كان في الاصل مقالة مستقلة أُضيفت فيما بعد الى ذلك الكتاب. فننشر هنا ذلك البابا الحادي والعشرين...

اما المخطوطة المنقول عنها النص فهي منسوخة سنة ١٧١٩ ميلادية، كما يؤخذ من الفقرة المذيل بها الكتاب، وهذه عبارتها حرفيا:

"تمّ وكمل هذا الكتاب المبارك يوم الثالث المبارك ثاني عشر توت المبارك سنة ألف واربعمائة وستة وثلاثين للشهداء الاطهار السعداء الاخيار، بركة صلواتهم تكون معنا آمين. أذكر يا رب عبدك كاتب هذا الكتاب، الخاطي المسكين الذي خطاياه عدد رمل البحر، عبدك سليمان، بالاسم قسيس، خادم دير العذرى بالعدوية، ابن القس فانوس ابن القمص صليب القمني، والخنائي مولدا والان بمصر المحروسة سكنا.

"كتب هذا الكتاب اشتياقا ومحبتا الى الأخ العزيز الارخن المبجل العالم المعلم حنّ الله باش مباشر ديوان الجوالي ابن الشيخ المعلم غطاس بالجوالي، الله ينيح نفسه ووالديه، ويجرس مخلفيه وينشئ اولادهم النشو الصالح ويجرسهم من الشيطان وجنوده بقوة صلوات ما ذكرناه في هذا الكتاب من الانبياء والاباء والقديسين آمين.

"ونسأل من كل من قرأ في هذا الكتاب المبارك ان يقول: يا رب اغفر خطايا الكاتب والقارئ والسامع وجميع بني المعمودية في ايرושليم السماوية. وكل من قال شيء فله امثاله في ايرושليم السماوية في ملكوت السموات، بقولنا كلنا اجمعين آمين آمين آمين".

ولما كان ساويروس بن المقفع يسمي الاقباط الذين هم قومه باسم "اليعاقبة" كما سنرى في النص، فلا بد من ابداء شيء من الملاحظات بشأن استعمال هذه الكلمة.

ان الاقباط والسريان والارمن، ومعهم الاحباش وملابار الهند، كانوا دائما يسمون انفسهم بكل اعتزاز . وغيرهم يسميهم ايضا - يعاقبة، نسبة الى الاسقف السرياني مار يعقوب البرادعي الذي نظم كنيستهم بكل غيرة واجتهاد بعد ما عانتته من الاضطهاد على اثر الانفصال بينهم وبين الملكيين. وبهذا الاسم تعرفهم دواوين الدول الاسلامية العربية والتركية، بمصر والشام والعراق وتركيا، وكذلك الكتاب المسلمون من منشئين ومؤرخين وفقهاء. وكان الحاكم المسلم اذا اراد تكريم احد كبارهم يلقبه في الوثائق الرسمية بفخر الامة يعقوبية. واستمر الحال على هذا المنوال الى عصرنا الحاضر على وجه التقريب، حيث رأوا بحق ان تمسكهم بهذا الاسم يعني انهم كنيسة مُستحدثة أنشأها يعقوب البرادعي، فيما هم يقولون بأنه هم الكنيسة الاصلية الأصيلة المستقيمة الرأي. ولذلك صاروا يمتنعون عن استعمال هذه التسمية ويغتazon اذا اطلقها احد عليهم، ولو بدون قصد جدلي بل مجارة للاصطلاح المتعارف منذ اجيال او تسهيلا للدلالة والتفاهم.

وكانوا في عُرف اللاهوتيين يُعرفون باسم - مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة - او "مونوفيزم" Monophysisme (وهي كلمة يونانية مركبة من "مونوس" أي واحد ومن "فيزيس" أي طبيعة). وفي الكلام الاعتيادي الدارج في ايامنا صار يُفهم من هذا الاصطلاح ان اصحاب المذهب المذكور خارجون عن الارثوذكسية الصحيحة وصارت الكلمة تحتاج الى توضيح وشرح لأجل فهم المعنى اللاهوتي الحقيقي المقصود منها. ولذلك عدلوا عن استعمالها ايضا واصبحوا يغتazon ممن يستعملها للدلالة عليهم. وصاروا يفضلون اسم "الكنائس الشرقية الارثوذكسية القديمة" او الكنائس الارثوذكسية غير الخلقيدونية.

ان كبار اللاهوتيين المعاصرين من الكاثوليك والارثوذكس يقولون اليوم ان الخلاف بين الملكيين واصحاب المجمع الخلقيدوني (أي كنائس الارثوذكس والكاثوليك والبروتستانت)، وبين تلك الكنائس غير الخلقيدونية انما هو اختلاف لفظي في التعبير عن عقيدة واحدة مشتركة فيما بينهم بشأن اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص واحد، شخص سيدنا يسوع المسيح. وعلى هذا الاساس حصل تقارب بين جميع تلك الكنائس، واصبح المتخصصون في الامور المسكونية يأملون عودة الاتحاد في وقت غير بعيد فيما بين الارثوذكس غير الخلقيدونيين.

الجدير بملاحظته في هذا النص، كيف ان المؤلف لم يعتبر نفسه (أي كنيسته) بريئا من خطيئة التفريق. ولكنه كرر، بدون ملل، عبارات مثل "نحن واياهم"، "لنا ولهم" "عنا وعنهم". فقد أكد بهذه الطريقة او الطائفتين مخطئتان، وان الوحدة ليست انضمام طائفة او كنيسة الى اخرى، وانا هي اتصال طائفتين بالرب، وبالتالي بعضهما ببعض. فالوحدة اذن، حسب مفهوم ساويروس، هبة من ربنا. وكل ما علينا ان نفعله، هو ان نعترف بأخطائنا، ونقدس انفسنا، ونطلب من الرب ان يرشدنا الى الحقن ويهدينا الصراط المستقيم.

وان روح السماحة، التي نشعر بها من خلال هذه الفقرة، لعجيبة من شخص عاش في القرن العاشر او الحادي عشر، حيث كان الملكيون والاقباط يتجادلون ويتهاجمون باستمرار. وهذا اوضح دليل على ان المؤلف كان شخصا روحانيا قديسا، مليئا بالتواضع وقريبا من الرب.

وكأن ساويروس (او من ألف هذا الكتاب من الاقباط) سبق بأجيال صلاة الوحدة التي نصليها اليوم، اذ نقول: "وامنحنا يا رب، ان نجتمع كلنا فيك. فتصعد لك قلوبنا وافواهنا، بلا انقطاع، صلاتك من اجل وحدة المسيحيين، كما تريدها انت، وبالسبل التي انت تريدها".

latinseminary.org